

تمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (الحدث اليمني) اتنا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اتنا لم نزل بيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بيدين عن التفتن فيه ومسلكتنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأخطام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن طلي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الأتراك ومن يحكمون أئامن أهل السنة لا كما يوهمون أو يوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامه .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لروم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة للأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدداً (١)

(٣) أن يكون متضلماً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابيحهم أو تابعي تابيحهم فقط بدون قيد بعمائة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفي ما كفي مالكاً في موطئه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسة حديثاً أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمني (٣) قد حقق القرينيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع أنهم يستنون بالبحث عن وسائل تفاهم العجاوات ا ه من الأصل . ولعله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورية وبإبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزاع
المعتزلة وإنغرايات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخرجات الفقهاء المتأخرين وحشوياد
الموسومين وتزويقات المرائين وتخرجات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهينون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دلائل من
يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان
القرآن محتملاً لوجوده فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله
أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل
به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان
في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهاد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً
يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم يقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون
بهم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجع يقوم
في الفكر لا يتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مشروعة .
وأهل هذه الطبقة عندنا ينوزون أدهانهم بأصول استدالات الإمام زيد رضي الله عنه
أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقيد
أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة
بيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى فرائد فهم
بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء
يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة
أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصرح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند السني من الأقدمين أو
للمعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل
إلى قبوله كما كان عليه جمهور السنيين قبل وجود المذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يهدون العدم مع ان الدليل يقتضد الإقناع
فالعلماء عندنا لا يحسرون على أن يفتوا في مسألة مضافاً ما لم يذكر وأمعها دليلها من

كتاب متفق الأخبار الذي شرحه وهو ليس له . وأعرزيون لم يهسلوا المنطق وإنما
خرجوا به عن التطريبات المحنفة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتى أعجباً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبنى على مقاصد مهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين ومسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذا الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في التكبير على المتجاسرين على التحليل والتحرير والمستسلمين لمحض التقليد

فالعلم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأقن أن يقف عند «لا أدري» بل يحذر ويحاف من غش السائل وتفريره إذا أجابه بأن قلانا المجتهديقول إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتها ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عنده عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعه الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضى الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه وصرود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المتصور لما حج واجتمع بمالك أراد على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة افرقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمجموعة في موطنه الذي جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى في الإيقات والجواهر أن (أبا حنيفة) رضى الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت يعنى نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعي) رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وأنه قال يوماً للمزني يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فإنه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحمد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

وقتل النقاة أن (سفيان الأورى) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن يفتى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة أنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن نفتى بقوله ما لم نفهم دليله وتفتح

ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فأنى من قوم الفوا ذكر الدليل وإن كان معروفاً مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلام بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهننا وأدق نظراً وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق فى الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولسكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتشيل بمن قالوا (قلوبنا غلفت) حمانا الله تعالى

(مرعى)
أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزأهم الله خيراً الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق إليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن
والسنة فإن علماء التابعين وتابعيهم والناسجيين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً
في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظر على النظر فهم أرشدونا إلى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

نم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم
علماً وهيباً أو كسبياً خارقاً للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهاء نجله قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستمارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي
والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة واتباع أبا حنيفة في إدخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والمنتج. واتباعه
أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثر من الأبواب
ونفتوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا علمي الأصول والكلام . وهذا التوسع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية
بالأمور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الأفضل بل كلفنا بان نستهدى كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهدنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.

قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع
البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلا من السياح المنكدين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيمين لهم الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق السكامة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .